SIATS Journals

Journal of Islamic Studies and Thought for Specialized Researches

(JISTSR)

/ Journal home page: http://jistsr.siats.co.uk



مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للبحوث التخصصية
المجلد **5**، العدد 4، أكتوبر 2019م
e-ISSN: 2289-9065

كتاب دلائل النظام لعبد الحميد الفراهي – دراسة منهجية –

BOOK "DALA'IL AL-NIZHAM" TO ABDUL HAMID AL-FARAHI SYSTEMATIC STUDY

شايع بن حمد الدوسري

Shaya700@gmail.com

جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز

قسم الدراسات الإسلامية – كلية التربية

1441هـ- 2019 م

ARTICLE INFO
Article history:
Received 22/8/2019
Received in revised form1/9/2019
Accepted 30/9/2019
Available online 15/10/2019
Keywords: al-Farahi, Dal'il, al-Nizham, al-Quran.

ABSTRACT

The book, Dala'il Al-Nizam by Abdulhamid Al-Farahi, is one of the books that tackled rare topics about the Noble Qur'an such as the topic of Coherence in the Qur'an. However, this book has not had enough care for publication or received enough interest by the verifiers. Here lies the research problem. The research aims at presenting the topics Al-Farahi talked about in his Book, Dala'il Al-Nidham. It also aims at highlighting the countless Qur'anic contributions. The research is conducted through the analytical methodology to analyze and track the Farahi's inferences in his exegesis. The research has found that there are a lot of topics discussed in the Al-Farahi's book, the recurrence of the Qur'anic scientific contributions, and the discussion of Qur'an's coherence is among the topic that Al-Farahi alone tackled in his Book, Dala'il Al-Nidham.

ملخص البحث

كتاب دلائل النظام للشيخ عبد الحميد الفراهي الهندي من الكتب التي تحدثت عن موضوعات نادرة في القرآن الكريم، وهو موضوع النظام، ولكن الكتاب لم تعطيه دور النشر حقه من الطباعة، ولم يلق اهتماما من المحققين، وهنا تكمن مشكلة البحث، ويهدف البحث إلى إظهار الموضوعات التي تحدث عنها الشيخ الفراهي في كتابه دلائل النظام، كما يهدف إلى تسليط الضوء على سعة عطاءات القرآن التي لا تنتهي، وقد قام البحث على المنهج التحليلي؛ لتحليل وتتبع ما استنتجه الشيخ الفراهي في تفسيره، وقد توصل البحث إلى بعض النتائج، منها: كثرة الموضوعات التي تحدث عنها كتاب الفراهي، وتجدد عطاءات القرآن الكريم العلمية، كما أن الحديث عن نظام القرآن ممن تفرد به الشيخ الفراهي في كتابه دلائل النظام.

الكلمات المفتاحية: الفراهي، دلائل، النظام، القرآن.



المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد عليه وعلى آله أفضل صلاة وأتم تسليم وبعد:

فهذه تقرير يسير عن كتاب (دلائل النظام لعبد الحميد الفراهي الهندي)، راعيت فيه الاختصار والتيسير في معرفة محتوى هذا الكتاب.

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف

وقبل البدء بدراسة المحتوى فهذه ترجمة يسيرة بالمؤلف:

الشَّيْخ عبد الحميد الفراهي (1280 - 1349هـ / 1864 - 1930م)

هُوَ حميد الدّين أَبُو أَحْمد عبد المحسن الأنصاريُّ الفراهيُّ.

ولد سنة 1280هـ (1864م تَقْرِيبًا) فِي قَرْيَة (فَرِيها) ، من قرى مديرية (أعظم كره) بِالْهِنْدِ، وَبَدَأَ تَعْلِيمه مُنْذُ ترعرعه – كشأن أَبنَاء العائلات الشَّرِيفَة فِي الْهِنْد – فحفظ الْقُرْآن، وبرع فِي الفارسية حَتَّى نظم فِيهَا الشّعْر وَهُوَ ابْن سِتَّة عشر عَاما، ثمَّ اشْتغل بِطَلَب الْعَرَبيَّة وعلومها على يَد ابْن خَاله الْعَلامَة المؤرخ شبلي النعماني (1274 - 1332هـ/ 1858 - 1914م) ، وَكَانَ أكبر مِنْهُ بست سِنِين، كَمَا تلقى الْعلم فِي حَلقَة الْفَقِيه الْحَنَفِيّ المحدّث الْعَلامَة الشَّيْخ أبي الْحَسَنَات مُحَمَّد عبد الْحَيّ اللكنوي (1264 - 1304هـ/ 1848 - 1887م) .. وَغَيره من عُلَمَاء الْعَصْر، ثمَّ عرَّج بعد ذَلِك على اللُّغَة الإنجليزية وَهُوَ ابْن عشْرين سنة، والتحق بكلية عليكرة الإسلامية، وَحصل على (الليسانس) فِي الفلسفة الحديثة من جَامِعَة (الله آباد) .

وَبعد مَا قضى وطره من طلب الْعلم، واستقى من حياضه، ورتع فِي رياضه – عُيِّن معلما للعلوم الْعَرَبيَّة بمدرسة الْإِسْلَام بكراشي (عَاصِمَة السَّنَد آنذاك) ، فدرَّس فِيهَا سِنِين، وَكتب وَألف، وقرض وَأنْشد، ثمَّ انْقَطع بعد ذَلِك إِلَى



تدبُّر الْقُرْآن ودرسه، وَجمع علومه، فَقضى فِيهِ أَكثر عمره حَتَّى توفّيّ – رَحْمَة الله عَلَيْهِ – فِي التَّاسِع عشر من جُمَادَى الثَّانِيَة من سنة 1349هـ (الْحَادِي عشر من نوفمبر 1930م) ، فِي مَدِينَة متهورا، حَيْثُ كَانَ يتطبب من مرضٍ أَلمّ بِهِ.

وَقد كَانَ الفراهي أنموذجاً مشرفاً للْعَالم الْمُسلم الْجَامِع بَين التبحُّر فِي الْعُلُوم الْعَرَبيَّة والدينية، والاطلاع الْوَاسِع على الْعُلُوم العصرية والطبيعية، وَيظْهر أثر هَذِه الثقافة المتوازنة العميقة فِيمَا كتب من مصنفاتٍ قاربت الْخمسين عددا، أهمها وَأَعْظَمهَا مَا كتبه حول الْقُرْآن الْمجِيد، وتأويله، وَمَا سَمَّاهُ (النظام) وَكَذَلِكَ مَا كتبه حول الحَدِيث الشريف وَالْأَدب الْعَرَبِيّ والفلسفة الأخلاقية والمنطق.. بِالْإِضَافَة إِلَى الْكثير من الشّعْر الراقي فِي كلٍّ من اللسانين: الْعَرَبِيّ والفارسي، وَفِي ذَلِك يقوم السَّيِّد الْجَلِيل أَبُو الْحسن الندوي (ت 1420هـ – 1999م) – رَحْمَة الله عَلَيْهِ –: ((.. وَلَا يَتَأَتَّى ذَلِك إِلَّا لمن جمع بَين التدبُّر فِي الْقُرْآن والاشتغال بِهِ، وَبَين التذوق الصَّحِيح لفن البلاغة والمعاني وَالْبَيَان فِي اللُّغَة الْعَرَبيَّة، والتشبُّع من دراسة بعض اللُّغَات الْأَجْنَبِيَّة والصحف السماوية الْقَدِيمَة، وَبَين سَلامَة الْفِكر ورجاحة الْعقل والتعمق.. وَذَلِكَ فضل الله يؤتيه من يَشَاء)).

وَبِالْجُمْلَةِ.. يَقُول عنهُ أحد تلامذته: ((كَانَ غَايَة – بل آيَة – فِي حِدة الذكاء، ووفور الْعقل، ونفاذ البصيرة، وَشدَّة الْورع، وَحسن الْعِبَادَة، وغنى النَّفس، وَلَئِن تَأَخّر بِهِ زَمَانه، لقد تقدم بِهِ علمه وفضلُه)).

ولعلَّ من الأهمية بمَكَان أَن نشِير إِلَى أَن للفراهي – رَحمَه الله – نَحوا من خمسةٍ وَعشْرين كتابا لما تطبع بعد، وَكثير مِنْهَا فِي غَايَة الأهمية[1].

المبحث الثاني: علم التأويل والقصد من بنائه عند الفراهي

المطلب الأول: علم التأويل عند الفراهي

أسس الفراهى مشروعه التفسيري من خلال رصد استكشافي لمواطن الخلل الذى حصل في مسالك تلقى الدين، وعبر تحديد مقاصد التدين التي تكفل القرآن الكريم ببيانها؟ فالدين ينهض بترقية النفوس، وتربية العقول، وإصلاح



الأعمال، أي يقوم بمقتضيات الربط التكاملي بين الأخلاق والعقائد والشرائع، ولذلك نشأت ثلاثة علوم وهي : علم الأخلاق والمواعظ، وعلم الكلام، وعلم الفقه، لينبري الفراهي إلى بيان كيف أن إعمال علم التأويل في الفقه وحده، وإهماله في علمي الأخلاق والكلام، أضرا بالممارسة المعرفية والعملية الإسلامية. وهو نظر تقويمي شامل لتراث العلماء الأخلاقي والعقدي والفقهي.

فبالنســبة لعلم الأخلاق، فقد اعترته آفات منها بناؤه على الحكمة العلمية المنقولة من الفلاسـفة، أو التعويل على التجارب الشخصية، أو الاعتماد على الروايات الضعيفة، أو الأخذ من القرآن وفق تأويلات ركيكة ؟ وذلك ظنا من أهل هذا العلم "بأنه لا حاجة إلى صحة الاستدلال في الترغيب والترهيب، ومدح الحسن وذم القبيح[2].

ويمثل الفراهي لذلك بطائفة من المتصوفة، ويضع أمثلة لذلك في كلام ابن العربي الحاتمي، ذلك أنهم "تكلموا في العقائد، يأولون القرآن إلى ظنونهم لجهلهم بالعربية، وبحقيقة هذا الدين . ويزعمون أنهم أعرف بالقرآن وأسراره [3].

وأما علم الكلام فيرى الفراهي أن العطب قد نخر أهله لغلبة العقل على اشــتغالهم، حيث خف عندهم النقل طلبا لإقناع الخصوم من الملاحدة، "وربما يأولون القرآن إلى غير مراده فرارا من اعتراضات المعاند، إذ لم يهتدوا لصحيح التأويل وتطبيق المعقول بالمنقول، فجعلوا للتأويل– لا نقول أبوابا بل ثلما – يخرجون منها حين لم يمكنهم الدفاع على وجه مستقيم[4]، ويجعل الرازي نموذجا لذلك.

ففي نظر الفراهي، مرد الخلل الذي اعترى كلا من علمي الأخلاق والكلام إلى "عدم تأسيس أصول التأويل العامة التي يعتمد عليها في كل ما يستنبط من القرآن، سواء كان من فروع الشرائع أو الأخلاق والعقائد[5]

فبناء علم التأويل هو العاصـم من قواصـم التحريف الذى يتعرض له فهم الدين، نظرا وعملا، "فإن جعلت القرآن (يؤكد الفراهي) أصلا لتمام علم الدين كما هو في الحقيقة، صار من الواجب أن يؤسس أصول للتأويل، بحيث تكون علما عاما لكل ما يؤخذ من القرآن[6].



المطلب الثاني: القصد من بناء علم التأويل

انبرى الفراهي لإصلاح ما أسماه بالخلل المعرفي، أو ما يمكن التعبير عنه بالبحث عن حل لأزمة علم التفسير المعرفية، وتجاوز الانسداد الذي يواجهه فهم الكتاب العزيز، بافتقاده للميزان والمعيار الذي ضاع مع عدم العناية بعلم التأويل تأصيلا وتنقيحا وأجرأة، ولذلك أسس الفراهي تمييزا بين نوعين من العلم وفرق بينهما، وهما العلم الفطري والعلم الرسمي.

فالعلم الفطري هو "الذي حصل على طريق الفطرة لا يحس به صاحبه، فإنه ليس عنده في صورة القضايا الكلية، ولا يظهر عمله إلا عند وقوع الضرورة، ويكون الحكم به حكما جزئيا[7].

بخلاف العلم الرسمي القائم على "أصول وكليات منضبطة ويحكم بها من غير وقوع المسألة "[8] .إذ مكمن الغلط بالنسبة للفراهي هو الثقة بالكليات المنضبطة التي يمكن أن تعتريها آفتان تؤثران في الحكم وتؤدي به إلى الغلط، وهما القصور والزيغ، اللذان يجتنبهما المسلك الفطري لعدم تعويله على "الكليات المنضبطة "، واعتماده الواقع دون الافتراض، ولذلك كثر الاختلاف في أهل العلم الرسمي، وكان علماء السلف يكرهون السؤال والحكم قبل حلول الواقعة [9].

فمكمن الخلل في الاعتماد على النهج الرسمي والابتعاد عن المسلك الفطري، ولو أن أهل العلم الرسمي "بعد التمرن الطويل ربما يحصل لهم الذوق الفطري "[10].

غير أنه يبقى "أدون من الذوق الفطري الذي حصل لذوي العقول السليمة، فهم يقربون من أهل العلم الفطري، ويسمون ذلك ملكة، وعند ذلك تضمحل العلوم الرسمية وأصولها وفروعها..." [11].
إن الفطرية المنهجية لها دلالاتها العلمية وآفاقها المعرفية وتطبيقاتها العملية، التي يرى أنها منتهى السول والأمل في إصلاح أزمة الفهم في علم التفسير، ببناء علم مستقل مشتغل بالتأويل، ويقي التدبر القرآني آفتي القصور والزيغ وما



تؤديان إليه من اختلاف وتضارب يضر بتماسك الجماعة. ولذلك اعتبر الفراهي، "أن التفكر في كتاب الله المنزل، يشبه الفكر في كتاب الفطرة"[12].

ينطلق إذن الاجتهاد في وضع علم التأويل ضمن الرؤية التي تؤسس للنموذج المعرفي الفطري المتجاوز للتطبيق "الرسمي " الذي فاتته العناية بالتأويل باعتباره فنا مستقلا وميزانا يقي الفهم كثيرا من الأغلاط والأخطاء، فغاية الفراهي هي وضع ميزان للتدبر والتفكر في القرآن بمقتضى الفطرة القرآنية نفسها، أصولا واستدلالا واستنباطا للأحكام والحكم . ولذلك أوضح الفراهي الفروق بين التأويل والتحريف والتفصيل خدمة وصيانة للقرآن الكريم:

وتنقسم أصول التأويل عند الفراهي إلى قسمين:

-يقصد الأول إلى العصمة عن الزيغ في التأويل.

-ويهدي الثاني إلى الحكم التي يتضمنها كتاب الله.

المبحث الثالث: معلومات الكتاب

المطلب الأول: طبعات الكتاب ومقدمة النشر

طبع الكتاب طبعة واحدة في 127 صفحة – نشر الدائرة الحميدية بالهند – ط1388/1هـ. وقد استهلت دار النشر في مقدمتها بكلام عن الفراهي من حيث علم وتوفقه على أقرانه، ومن حيث الكتاب وأهمية وفضل وما تطرق له المؤلف في هذا الكتاب، وذكر الناشر أن هذا الكتاب ليس إلا مجموعا من أفكار الإمام الفراهي، وأنه لم يتيسر له أن يرتبها ما عدا فصول توجد في أوائله (1–10) فما زاد على ذلك فهو مما كان مبثوثا في مخطوطاته.



المطلب الثاني: مقدمة المؤلف

بدأ المؤلف في كتابه بالمقصود من معرفة النظام حيث قال ليس إلا التدبر، وبدأ بعده بقول النظام لمن؟ وقال المقصود في هذا الفصل بأن النظام من الضروريات لعلماء الأمة، وفهم الكلام لا يمكن بدون معرفة النظام لأن اختلافهم لفهمه سبب في الفرقة والشتات واختلاف الفتاوى.

وقال: فهذا كتاب أفردناه لذكر (دلائل النظام) ونريد بالدلائل:

1- ما يدل على وجود النظام في القرآن ويثبته.

2- وما يهدك إلى معرفته وطريق استنباطه[13].

المطلب الثالث: موضوع الكتاب وغايته

إن الفراهي في رحلته العلمية الشاقة إنما يريد أن يسترد مفتاح الحكم الفيصل، الذي تفتح به أبواب الاجتهاد التدبري للقرآن، وإعادة وصل الجماعة بكتابها العزيز. فهو الإكسير لتشتت الأمة واختلافها.

موضوع الكتاب يتحدث عن معرفة النظم في معاني الآيات والسور، وهو الموضوع لكتابنا هذا[14]، ثم تكلم المؤلف عن نظم القرآن وأنه على ترتيب النبي صلى الله عليه وسلم، وذكر أن الخلاف هو في ترتيب السور لا الآيات، ورجح بأن الصحيح الثابت هو ترتيب سور القرآن من عند الله[15].

وغاية الكتاب أي الغرض الأصلي من هذا الكتاب: هو الانتفاع بالقرآن تعلمه وتعليمه والعمل به وحث الناس عليه.

المبحث الرابع: أسباب قلة الاعتناء بعلم النظام من وجهة نظر المؤلف

ظن البعض أنه مع إشكاله وصعوبته وكونه من مزلات الأقدام ليس من مهمات الدين.



رد على هذا الإشكال حيث قال بأن لطائف البلاغة ووجوه الإعجاز ليست مقصودة لذواتها ولا غاية ما تفوز به، بل ليست معرفة نظام الكلام وروابط معاني الآيات ماهي طلبتنا كل ذلك يأتي عرضا إنما المقصود هو التدبر في معنى القرآن الذي سبق بيانه، ومعرفة النظم إنما هي وسيلة إليه[16].

ثم تطرق المؤلف لرفع بعض الشبهات من حيث أن زعم بعض العلماء أن الكلام المنظم الذي يجري إلى عمود خاص ليس من عادة العرب، فإنك ترى في شعرهم اقتضابا بينا فلو جاء القرآن على غير أسلوبهم ثقل عليهم، وهذا زعم باطل فإن العرب كانوا يتلهون بالشعر ولا يعدونه من المعالي، وإنما كانوا يعظمون الحكماء ويحبون الخطابات الحكمية، لم ستعملوا الشعر إلا على وجه الحكمة وضرب المثل، وأن العرب لم يكن أكثر كلامهم الجزل شعرا[17].

ثم تطرق المؤلف إلى الأسباب التي دعت بعض العلماء لنفي النظام، وهي الآتي:

1. تبرئة كلام الله عن كل عيب وشين.
2. أن أكثر من ذهب إلى وجود النظم كالإمام الرازي قنع في هذا الأمر الصعب بما هو أهون من نسج العنكبوت مع سبقه الظاهر في العلوم النظرية والذكاء، فمن نظر في كلامه تيقن بأن النظم لو كان كما يدعيه هذا الإمام المتبحر وأمثاله لما خفي عليه مع خوضه فيه.
3. إكثار الوجوه في التأويل وإكثار الجدل فيه، وذلك بأن النظم إنما يجري على وحدة، فبحسب ما أكثرت الوجوه تعذر الاستنباط.
4. أن تحزب الأمة في فرق وشيع قد الجأهم إلى التسمك بما يؤيدهم من الكتاب فراق لهم تأويله[18].

(بعد ذكره لهذه الشبهات ذكر الناشر أن هناك بياض في الأصل ووجود سقط في الكلام).

المبحث الخامس: القرآن مورد النظام

ثم انتقل المؤلف إلى أن مأخذ النظام هو القرآن نفسه، وبين المؤلف كيف أن القرآن يهديك إلى نظامه وأصوله حيث قال: وكل ذلك من باب حمل النظير على نظيره، والقرآن قد دل على كونه منظما لا عوج فيه ولا فطورا من وجوه:

1- أن الآية الواحدة تجمع أموراً وربما تتضمن جملا ولا يسوغ لمسلم أن يظن بالآية الواحدة أنها غير منظمة.

2- أن الربط الذي وجدت في موضوع تجده في عدة مواضع ثم تفكر في مناسبة هذا الربط، فتهدي إلى حكمته.

3- ذكر الأمور الظاهرة المناسبة في موضع ثم ذكر بعض هذه المناسبات وترك بعضها، فمن علم المناسبة المذكورة فهمها في موضع لم يذكر فيه[19].

ثم انتقل المؤلف إلى ذكر فوائد تعليم الحكمة:

1- فمن جهة كونه متشابها ومثاني: حث النظر على الانتقال من النظير إلى النظير.

2- عمل تصور البعض من بعض آخر، وهما من طريق الفطرة الأولى ينتقل العقل من العلامة إلى ذي العلامة ومن المثل إلى المثل.

3- حذف بعض المقدمات: فربما يذكر الطرفين ويترك الوسط وربما يكتفي من الأمرين بأحدهما وربما يكتفي من أربعة أمور فيها مزدوجان بأمرين فيأخذ من كل مزدوج زوجا[20].

(ذكر الناشر أنه وقع بياض في الأصل بعد ذكر الفائدة الثالثة)

المبحث السادس: النظام يهدي إلى الحكمة

ثم انتقل المؤلف إلى أن النظم يهدي إلى الحكمة، وفي المبحث الذي يليه بين المؤلف أن نظم القرآن دليل على نظم الديانة كلها، ثم ذكر المؤلف الحاجات إلى معرفة النظم[21]:

1- وهي معرفة الحقائق والغايات والحكم ومن قل معرفته لهذه قل حظه في طرفي الاعتقاد والعمل.

2- من ترك النظر فيه ترك من معنى القرآن معظمه.

3- بعث الله نبينا صلى الله عليه وسلم لتعليم الحكم كما بعثه لتعليم الأحكام وربط الله التزكية بالحكمة وسماها خيرا كثيرا، فمن غفل عنها وقف دون غاية هذه البعثة واكمال دينه وتعليم نبيه ولم يتبعه كما ينبغي.

4- إنا وقعنا في اختلافات شديدة في تأويل القرآن ثم اختلفت عقائدنا وقلوبنا، والنظم يرد الأمور إلى الوحدة وينفي تشاكس المعاني.

5- القرآن أفضل آيات شاهدة على نبوة خاتم النبين صلى الله عليه وسلم، وأبقاها وأبينها وأهداها ونعلم بالبداهة أن حسن الترتيب من أكبر محاسن الكلام البليغ، ونحن نوقن باعجاز القرآن فهل نرضى بأن يكون عاريا من حسن الترتيب؟.

6- (الحاجة رقم ستة ذكر الناشر بوجود بياض في الأصل)

المبحث السابع: الوسائل إلى معرفة النظم في القرآن

ذكر المؤلف أن أهم الوسائل إلى معرفة النظم في القرآن (التدبر)، وبعد كلام جميل عن التدبر ذكر الناشر بوجود بياض في نهاية هذا المبحث، ثم بين أن هناك بعض الأمور التي تظهر النظم في القرآن، وقد تتبعتها وأظهرتها من خلال العناوين التالية

المطلب الأول: إن للقرآن ظهراً وبطنا

ذكر المؤلف أن الله وصف القرآن بالإبانة وكونه نورا وتفصيلا، ومع ذلك وصفه بكون محل التدبر والتوسم والتفكر، وأنت تعلم أنه كذلك فإنه لم يزل نافعا هاديا ظاهرا ومع ذلك محلا لغوامض الحكم ومنبعا لدقائق الآداب ... فالقرآن له ظواهر بها نهتدي فيتيسر ما وراءها ويصير الباطن ظاهرا[22]، يظهر ذلك جليا في النقاط التالية:



1- كان الله تعالى خلق كل شيء للإنسان ولكن لم يجعل للإنسان نصيبا منه إلا حسب ما سعى، فكذلك لا يكشف القرآن له إلا حسب ما تفكر والقرآن واضح بين.

2- أما بطنه تحت الظاهر فهو من جهة أن الحق يوافق أخوته ولكن الباطل له اضمحلال إذا جاء الحق المتاح له.

3- وهكذا الأمر في القرآن فإنك كلما زدت علما رفع لك ستر معانيه، وليس لأحد أن يتأول القرآن بما لم يثبت من الحق.

4- إذا علمت ذلك وجب لأجل فهم القرآن طلب كل علم صحيح.... ولا ينقص السؤال من مزلتك بل يزيد فيها وليس لك أن تقول عندي كفاية وحسبنا القرآن. نعم . القرآن حسبك كما أن الله تعالى حسبك.

5- ثم في القرآن دلائل إلى ما غمض ولذلك أصول:

(أ) النظر في نظمه

(ب) الاستدلال بالتأمل في جذر الكلمة تاما مستقلا.

(ت) الاستدلال باللوازم للشيء.

(ث) النظر في محل السورة[23].

...... بياض في الأصل.

المطلب الثاني: كشف طرق الآيات والسور

ثم انتقل المؤلف رحمه الله إلى مبحث النظر في الطرق التي تكشف عن طرق الآيات والسور وذكر منها[24]:

1- زيادة الجزء بالتام كما قال تعالى: (كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) فهذا كلام تام لا ينتظر له بقية ولكن زاده قوله: (في الدنيا والآخرة) ومثله سورة الروم.

2- ومنها ادخال الجملة المعترضة لفوائد كثيرة ..... ذكر الناشر وجود بياض في الأصل.



المطلب الثالث: الاستدلال بالآية

ثم ذكر المؤلف الاستدلال بالآية أي بأمر مشهود ينتقل منه إلى أمر آخر بوجه من وجوه المناسبة.

ثم يذكر المناسبة والترتيب وأن الغرض من اختلاف الأسلوب ليس إلا زيادة فائدة غير ما كان، لأجل ما ينبغي في الكلام من الحسن والصيانة عن التكرار.

أما اتجاه الترتيب فقال المؤلف أن الأمر الواحد ربما يؤتى به كالعمود وربما كالتبع وحينا يورد مجملا وحينا مفصلا ومره يقدم وأخرى يؤخر وتارة يفرد وتارة يقترن.

المطلب الرابع: الترتيب والتركيب والحذف وطرق الاستنباط

وبعدها انتقل المؤلف إلى التحدث في ترتيب القرآن المعجز، فتكلم عن ترتيب القرآن ولخفاء معناه، ثم تكلم عن (ما يهدي إلى الترتيب) وتكلم عن اختلاف الترتيب وحكمته، وتكلم عن وجود وجوه عديدة لأمر واحد مثل ذكر الصلاة والزكاة والذكر والشكر وأمثالها والقصص ذكرت على جهات يستدل بها على حكم جمة وتزداد به علما لأمر واحد.

ثم تكلم عن تركيب المطالب بعضها ببعض وأن النظر في القرآن من جهة الحكم وربط الأحكام بأصولها وأما الوقائع الخاصة فجعلت مواقع للتأويل لتكون تقريبا إلى الاستماع والتوجيه.

وتكلم المؤلف في قران الأمور وتقابلها وأن ذلك يهدينا إلى تدبير الأخلاق ومداواة القلوب ويهدينا إلى حقائقها ويهدينا إلى بقاء قرين أو فنائه مثل ذكر الصلاة والزكاة وأنه لا بقاء لأحدهما مع فناء الأخرى، ويهدينا مماثلتهما في الآثار كما استدل أبو بكر على أثر ترك الزكاة بأثر ترك الصلاة.

وتكلم المؤلف عن الحذف وأن كلام العرب كله نمط على كلام الأمم الذي تعودت عليه وأن كلامهم قد وضع حسب اقتضاء الفكر والفهم، فتراه مربوطا برابطة عقلية.



وتحدث المؤلف عن طرق استنباط علم النظام وأصوله وأن ذلك من القرآن الكريم كما تطرق إلى فن النظم عموما.

المطلب الخامس: الفرق بين المناسبة والنظام

وبعد ذلك تحدث عن الفرق بين المناسبة والنظام، وَقد ركز فِيهِ على توضيح أمرٍ مُهِمّ، وَهُوَ التَّفْرِقَة بَين (التناسب) و (النظام) ، وَأَن مَا يعنيه من (النظام) لَيْسَ مُجَرّد تناسب، وَفِي ذَلِك يَقُول[25]:

(قد صنف بعض الْعلمَاء فِي تناسب الْآي والسور، وَأما الْكَلَام فِي نظام الْقُرْآن، فَلم أطَّلع عَلَيْهِ، وَالْفرق بَينهمَا: أَن التناسب إِنَّمَا هُوَ جزءٌ من النظام، فَإِن التناسب بَين الْآيَات بَعْضهَا مَعَ بعض لَا يكْشف عَن كَون الْكَلَام شَيْئا وَاحِدًا مُسْتقِلّا بِنَفسِهِ، وطالب التناسب رُبمَا يقنع بمناسبة مَا، فَرُبمَا يغفُل عَن الْمُنَاسبَة الَّتِي يَنْتَظِم بهَا الْكَلَام فَيصير شَيْئا وَاحِدًا، وَرُبمَا يطْلب الْمُنَاسبَة بَين الْآيَات المتجاورة مَعَ عدم اتصالها، فَإِن الْآيَة التالية رُبمَا تكون مُتَّصِلَة بِالَّتِي قبلهَا على بُعدٍ مِنْهَا، وَلَوْلَا ذَلِك لما عجز الأذكياء عَن إِدْرَاك التناسب، فأنكروا بِهِ، فَإِن عدم الِاتِّصَال بَين آياتٍ متجاورةٍ يُوجد كثيرا، وَمِنْهَا مَا ترى فِيهِ اقتضاباً بيّناً، وَذَلِكَ إِذا كَانَت الْآيَة – أَو جملةٌ من الْآيَات – مُتَّصِلَة بِالَّتِي على بُعدٍ مِنْهَا.

وَبِالْجُمْلَةِ: فمرادنا بالنظام أَن تكون السُّورَة كَامِلا وَاحِدًا، ثمَّ تكون ذَات مُنَاسبَة بالسورة السَّابِقَة واللاحقة، أَو بِالَّتِي قبلهَا أَو بعْدهَا على بُعدٍ مِنْهَا. فَكَمَا أَن الْآيَات رُبمَا تكون مُعْتَرضَة؛ فَكَذَلِك رُبمَا تكون السُّورَة مُعْتَرضَة، وعَلى هَذَا الأَصْل نرى الْقُرْآن كلَّه كلَاما وَاحِدًا، ذَا مُنَاسبَة وترتيب فِي أَجْزَائِهِ، من الأول إِلَى الآخر، فَتبين مِمَّا قدمنَا أَن النظام شئٌ زائدٌ على الْمُنَاسبَة وترتيب الْأَجْزَاء والآن تبين ما لم يتم النظام إلا به).

المطلب السادس: متفرقات في أواخر الكتاب

ثم تكلم عن المعاني وسبكها في صورة حيث بين أن معاني الكلام إذا ارتبط بعضها ببعض وجرت إلى عمود واحد كان الكلام ذا وحدانية.



وبين أن الوحدانية هي معرفة العمود الذي سيق إليه المعاني وأنك لن تهتدي إلى معرفة اتصال بعضها ببعض دون معرفتك بمساق الكلام، لأن النظام لا بد له عمود يجري إليه الكلام.

وتكلم بأن استخراج عمود السورة صعب جدا وهو اقليد لمعرفة نظامها وأنه يحتاج إلى شدت التأمل والتمحيص وترداد النظر في مطالب السورة المماثلة والمتجاورة، وذكر سبب صعوبة ذلك بأنه[26]:

1- القرآن نزل مشتابها مثاني.

2- أن الله تعالى كما أنزل هذا الكتاب لواجبات العقائد والشرائع فكذلك أنزله لتعليم وحكمة وجعل ذلك من أخص صفات نبينا صلى الله عليه وسلم.

3- جعل القرآن على نهاية الإيجاز فلكثرة المطالب العالية يتحير الناظر فيه ويصعب عليه أن يصطفي من بين معانيه معنى واحدا كالعمود.

ثم تحدث عن كثرة الوجوه في النظام وأن هناك من السور ما ترى نظامها واضحا بل ربما أنها تتحمل عدة وجوه في نظامها ولكن الإشكال في تعيين ما هوا لننظم الصحيح المراد.

تكلم عن المثاني وهي المعاقد والمفاصل والمعاظف.

وتكلم عن معالم السور وأنها ليست كلها متساوية في الأهمية كما صرح النبي صلى الله عليه وسلم عن مزايا لبعض الآيات.

ثم تكلم عن مقادير السور في جعل بعض السور في غاية الايجاز والقصر.

وتكلم عن ترتيب السور وما ضمت به بعضها ببعض لمناسبة المتأخرة بالمتقدمة للتفصيل أو التشتيد أو الموافقة في المعنى، ووضع الطوال مع الطوال والقصار مع القصار، وأن من بعض أسبابه:

1- مناسبة القدر في السور من حيث طولها كما هي مناسبة المعنى.



2- وأن القصار لو فرقت بين الطوال لصارت مغمورة[27].

وتكلم في وضع الأوائل نزولا في الأواخر ترتيبا وذلك لأن القرآن للقراءة والدرس والقراء عند تمام النزول أقرب حالا بأوائل القرآن.

وتكلم عن موقع الكلام من الوقائع والأحوال وذلك بما يعين على فهم النظام.

وتكلم عن النظم التاريخي ومنها تقاربها في الزمان مثلا زمن الدعوة الأولى فأمورها منتظمة من جهة الزمان فلا يبعد بعضها عن بعض.

ثم تطرق إلى الكلام في نظم السور بعضها مع بعض وبيان النظم العمودي حيث ذكر الناشر أنه فصل في غاية الأهمية[28].

ثم انتقل إلى عمود السور إجمالا ممثلا لكل سورة وعمودها.

كما تطرق إلى مطالب السور ونظامها مبتدأ بسورة الفاتحة.

ثم جاء بأمثلة في آخر كتابه.

هذا ما تيسر ايراده من هذا الكتاب سائلا الله لي ولكم التوفيق والسداد والله تعالى أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

الخاتمة

وبعد هذا الطرح المتواضع توصلنا إلى النتائج التالية:

1. كثرة الموضوعات التي طرحها كتاب دلائل النظام، والتي تحدثت عن القرآن الكريم والنيل من معينه الذي لا ينضب.
2. سعة عطاءات القرآن الكريم التي لا تنتهي.



3. الحديث عن نظام القرآن ممن تفرد به الشيخ عبد الحميد الفراهي.

4. عرض كل جديد في دلالات القرآن على أصول التفسير وآراء العلماء؛ ليتقيد بذلك كل مطلق.

التوصيات

نوصي بجمع كتب الشيخ عبد الحميد الفراهي وطبعها طباعة متميزة؛ ليسهل لطالب العلم الوصول إليها.

الهوامش

---

[1] أبو العلاء، عادل بن محمد. (1425هـ). مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور. المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية. ص70.

[2] الفراهي، عبد الحميد الهندي. (1430هـ). التكميل في أصول علم التأويل. تحقيق: محمد سميع مفتي. (د. ط). ص11.

[3] الفراهي، التكميل في أصول علم التأويل، المرجع السابق، ص12.

[4] الفراهي، التكميل في أصول علم التأويل، المرجع السابق ، ص12.

[5] الفراهي، التكميل في أصول علم التأويل، المرجع السابق ، ص12.

[6] الفراهي، التكميل في أصول علم التأويل، المرجع السابق ، ص12.

[7] الفراهي، التكميل في أصول علم التأويل، المرجع السابق ، ص22.

[8] الفراهي، التكميل في أصول علم التأويل، المرجع السابق ، ص22.

[9] الفراهي، التكميل في أصول علم التأويل، المرجع السابق ، ص22.

[10] الفراهي، التكميل في أصول علم التأويل، المرجع السابق ، ص22.

[11] الفراهي، التكميل في أصول علم التأويل، المرجع السابق ، ص22.

[12] الفراهي، التكميل في أصول علم التأويل، المرجع السابق ، ص 23.

[13] الفراهي، عبد الحميد الهندي. (1388هـ). دلائل النظام. الهند: المطبعة الحميدية. ص11.

[14] الفراهي، دلائل النظام، المرجع السابق، ص12.

[15] الفراهي، دلائل النظام، المرجع السابق، ص14.

[16] الفراهي، دلائل النظام، المرجع السابق، ص20.

[17] الفراهي، دلائل النظام، المرجع السابق، ص21.

[18] الفراهي، دلائل النظام، المرجع السابق، ص26.

[19] الفراهي، دلائل النظام، المرجع السابق، ص31.

[20] الفراهي، دلائل النظام، المرجع السابق، ص32.

[21] الفراهي، دلائل النظام، المرجع السابق، ص38.

[22] الفراهي، دلائل النظام، المرجع السابق، ص43.

[23] الفراهي، دلائل النظام، المرجع السابق، ص45.

[24] الفراهي، دلائل النظام، المرجع السابق، ص49.

[25] الفراهي، دلائل النظام، المرجع السابق، ص74.



[26] الفراهي، دلائل النظام، المرجع السابق، ص77.

[27] الفراهي، دلائل النظام، المرجع السابق، ص84.

[28] الفراهي، دلائل النظام، المرجع السابق، ص91.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. أبو العلاء، عادل بن محمد. (1425هـ). مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور. المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية.
2. الفراهي، عبد الحميد الهندي. (1388هـ). دلائل النظام. الهند: المطبعة الحميدية.
3. ________. (1430هـ). التكميل في أصول علم التأويل. تحقيق: محمد سميع مفتي. (د. ط).

